

أثر الزمان والمكان على الدعوة إلى الله

(دراسة وصفية تحليلية)

إعداد

الدكتور يوسف محمد النور حامد

الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أثر الزمان والمكان على الدعوة إلى الله (دراسة وصفية تحليلية)

يوسف محمد النور حامد

القسم: الدعوة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، السعودية.

(البريد الإلكتروني): omda٣@outlook.com

ملخص:

إن الدعوة إلى الله تعالى يعتريها حكمان، حكم بالوجوب العيني، على كل مسلم ومسلمة بالغ عاقل، وهي الدعوة الفردية أو ما يسمى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما الحكم الثاني للدعوة في عمومها بواجباتها العامة وأركانها الأساسية، فهي واجبة وجوبا كفائيا إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين وكفاهم الإثم. وهذا البحث على قلته نرجو أن يكون قد ساهم في علاج نوع من أنواع الدعوة إلى الله تعالى، وهو المجال الذي يمكن أن تنشر فيه الدعوة إلى الله، وكيفية استطاعة الداعية معالجة دعوته في كل زمان ومكان، كما يعالج أثر البيئة على المدعوين والظروف المحيطة بهم. كما تعرض البحث لنوع من المدعوين من حيث الثقافات والعادات والتقاليد التي عندهم. وكذلك لم يترك البحث جهداً في التماس الحكمة ومحاولة تلمس أنفس الناس وما يطرأ عليهم من صوارف الدهر من خلال جهود الداعية.

الكلمات المفتاحية: أثر، الزمان، المكان، الدعوة، وصفية، تحليلية.

The impact of time and space on the call to God (analytical descriptive study)

Youssef Mohammed Al-Nour Hamed
Section: Dawa, Faculty of Da'wa and The Origins of Religion, Islamic University of Medina, Saudi Arabia.
(E-mail): omda٣@outlook.com

Abstract:
The call to Allah is based on two rulings, which are obligatory in kind for every Muslim and a rational adult Muslim, which is the individual call or the so-called command of virtue and prevention of vice. The rest are enough of sin. This research, as i said, may have contributed to the treatment of some kind of call to Allah, an area in which the call to God can be spread, and how the preacher can address his call at all times and places, as well as the impact of the environment on the invitees and the circumstances surrounding them. The research also exposed a kind of invitee in terms of their cultures, customs and traditions. The research also left no effort in seeking wisdom and trying to touch people's breath and the sautés of time through the efforts of the preacher.
Keywords: Impact, time, place, advocacy, descriptive, analytical.

المقدمة

الحمد لله الذي أمر نبيه ﷺ بالصدع بالدعوة إلى دينه بقوله : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ النحل: ١٢٥

والحمد لله سبحانه الذي أمر نبيه ﷺ أن يبين للمسلمين سبيل الدعوة إلى الله وما ينبغي أن يسلكوه في ذلك بقوله : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ يوسف: ١٠٨

والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا وحبيبنا محمد ، وعلى آله وصحبه الميامين . الذي حمل الدعوة وتحمل فيها كل ألوان العنت والمشقة ، والذي حمّل أمته من بعده هذه الدعوة بقوله ﷺ : ((بلغوا عني ولو آية ، فرب مبلغ أوعى من سامع))(١) .

أما بعد :

فإن الدعوة إلى الله يعتريها حكمان ، حكم بالوجوب العيني ، على كل مسلم ومسلمة ، وهي الدعوة الفردية أو ما نسميه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فهذا النوع من الدعوة لابد لكل مسلم ومسلمة من أن يباشره بنفسه ولا يحمله عنه غيره ، ولا يبرأ منه ذمته إلا بذلك .

---

(١) سنن ابن ماجة ، باب "١٨" ، حديث : ٢٣٠ ، ١(/٨٤) . وسنن الترمذي ، كتاب العلم ، باب "٧" ، حديث : ٢٧٩٤ ، ٤(/١٤١) .

أما الدعوة في عمومها بواجباتها العامة وأركانها الأساسية ، فهي واجبة على الأمة وجوب كفاية في جملتها ، إن قام بها نفر منهم سقط وجوبها عن جملة الأمة ، وإن لم يقم بها أحد أثم الجميع .

والدعوة اليوم أصبحت لها فروع وتخصصات ولها مجالات عديدة ، ولها طرق ووسائل ، ولها مناهج تختلف من بلد لبلد ، ومن مكان لآخر ، ومن بيئة لأخرى ، ومن أسلوب لأسلوب ، وذلك كله حسب ما يقتضيه العصر الذي يعيش فيه الداعية ، وظروف البلد الذي يدعو فيه ، والحكمة في الدعوة تقتضي ذلك كله ، وتقتضي مراعاة ذلك كله .

وهذا البحث على قلته ، يعالج نوعاً من أنواع الدعوة إلى الله ، يتحدث عن جزء من أجزائها ، وهو المجال الذي يمكن أن تنتشر فيه الدعوة إلى الله ، وكيف يستطيع الداعية أن يعالج دعوته في كل نوع من أنواع الأمكنة ، وكيف يسير بها في كل زمان يحتوي ذلك المكان ، كما يعالج أثر البيئة على المدعوين ومعالجة ظروفهم في تلك البيئة ، كما تعرض للزمان وأثره على المدعوين أيضاً ، ونوعية الناس من حيث الثقافة .

وهذا البحث على قلته وفي مباحثه الأربعة ، كل مبحث يتناول ميداناً يعالج فيه كيف يمكن للداعية أن يقوم بدعوته كما ينبغي ، وكيف يمكن له أن يسير بها – أي الدعوة – حتى تعطي الثمار المرجوة منها .

الكلمات المفتاحية :

١/ الأثر : وهو التغيير الذي يطرأ علي البيئة والزمان والمكان .

٢/ الزمان : هو الوقت المناسب لدعوة المدعوين .

٣/ المكان : مكان سكن ووجود المدعوين .

٤/ الدعوة : وهي الدعوة إلى الله تعالى .

سبب اختيار الموضوع:

كشف وبيان الأثر على الدعوة في حال عدم اختيار الزمان والمكان المناسبين للدعوة إلى الله تعالى .

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي، هذا بجانب المنهج التحليلي أحياناً، وايراد ما يؤثر على الدعوة إذا لم يوفق الداعية في اختيار الوقت المناسب والمكان المناسب لقيام دعوته .

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم مصطلحات البحث :

أولاً: مفهوم الأثر .

ثانياً : مفهوم الزمان .

ثالثاً : مفهوم المكان .

رابعاً : مفهوم الدعوة .

المبحث الثاني : الأثر على الدعوة من حيث الموقع والمناخ .

المبحث الثالث : الأثر على الدعوة من حيث العادات والتقاليد .

المبحث الرابع : أثر التنوع البيئي على الدعوة .

الخاتمة : وبها النتائج والتوصيات .

ثبت بالمصادر والمراجع .

المبحث الأول

مفهوم مصطلحات البحث :

أولاً : مفهوم الأثر :

الأثر في اللغة له عدة معاني منها على سبيل المثال : تقديم الشيء ، ذكر الشيء ، رسم الشيء الباقي ، وبقية الشيء ، والجمع آثار وأثور ، والإثارة : البقية من الشيء ، والجمع آثارات[1] .

والأثر اصطلاحاً : يستخدم لفظه بمعنى ما يترتب على الشيء ، وهو المسمى بالحكم عند الفقهاء[2] ، فيقولون : أثر القتل ، وأثر الجراحة، وأثر العلم ، وغيرها[3] .

ومن هنا فإن المعنى الاصطلاحي للأثر لا يخرج عن المعنى اللغوي ولكن المعنى اللغوي أشمل .

ثانياً : مفهوم الزمان :

الزمان اسم لقليل الوقت وكثيره ، والزمان يقع على جميع الدهر وبعضه

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، (٥٣/١)، القاموس المحيط ، ص٣٤١ . لسان العرب ، (٥/٤) . التعريفات ، ص٩ .

(٢) دستور العلماء ، (٣٠/١) . تدريب الراوي ، (٢٠٣/١) . كشاف اصطلاحاتالفنون والعلوم ، (٩٨/١) .

(٣) النهر الفائق ، (١٠٣/١) . مناهج التحصيل ، (٢٤٣/١٠) . بحر الذهب ، (٣٠٣/١) .

، والجمع أزمنة وأزمن وأزمان[1] .

أما الزمان اصطلاحاً فيعني أجل الشيء ، ومدته ، ووقته ، فيقول العلماء : زمن الدعوة ، زمن العلم ، وغيرها من المصطلحات[2] .

ثالثاً : مفهوم المكان :

يطلق المكان في اللغة على عدة معاني منها : الموضع ، بدل الشيء ، الحاوي للشيء كمقعد الإنسان من الأرض وموضع قيامه واضجاعه وما يعتمد عليه كالأرض للسرير . والجمع أمكنه ، وأماكن[3] .

والمعنى الاصطلاحي للمكان هو لا يخرج عن اللغوي ، والعلماء يطلقون المكان على موضع الشيء ، مثل مكان الصلاة ، مكان البيع والشراء ، ويستعملونه بمعنى بدل الشيء ، مثل قولهم : أعطاه مكان الحنطة والشعير[4] .

وعليه فإن المراد بالمكان في البحث : هو مكان قيام الدعوة إلى الله ، وذلك مثل المكان المخصص للدعوة داخل المسجد لتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم أو أي مكان يخصص لذلك .

---

(١) لسان العرب ، (١٣/١٩٩) . مقاييس اللغة ، (٣/٢٢) .
(٢) التعريفات ، ص١١٤ . بدائع الصنائع ، (٣/١١٠) . جامع الأمهات ، ص٣٣٣ .
(٣) القاموس المحيط ، ص١٢٣٥ . الكليات ، ص٨٢٦ .
(٤) المبسوط ، (١/١٢٠) . النهر الفائق ، (٣/٥٠٣) . البيان والتحصيل ، (٢/٤٨٦) .

رابعاً : مفهوم الدعوة :

في اللغة الدعوة مشتقة من الفعل الثلاثي : دعا يدعو دعوة ، والاسم: الدعوة ، والقائم بها يسمى داعية ، والجمع دعاة .

والدعوة في اللغة لها عدة معان منها : النداء ، الطلب ، الاجتماع ، الدعاء ، السؤال ، والاستمالة ، وغيرها .

قال الزمخشري : دعوت فلاناً وبفلان ناديته وصحت به(١) .

وقال الرازي : والدعوة إلى الطعام بالفتح يقال : كنا في دعوة فلان ، ومدعاة فلان وهو مصدر والمراد بهما : الدعاء إلى الطعام .
والدعوة بالكسر في النسب والدعوى أيضاً أكثر كلام العرب يفتحون الدال في النسب ويكسرونها في الطعام .

وادعى عليه كذا والاسم : الدعوى وتداعت الحيطان للخراب تهادمت ، ودعاه صاحبه واستدعاه أيضاً ، ودعوت الله له وعليه أدعوه دعاء .

والدعوة المرة الواحدة فالدعاء أيضاً واحد الأدعية ، وتقول للمرأة أنت تدعين وتدعوين ، وللجماعة أنتن تدعون مثل الرجال سواء . وداعية اللبن ما يتبقى في الضرع ليدعو ما بعده .

والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدىً أو ضلالة ، وأحدهم داع ، والرجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين(٢) .

---

(١) أساس البلاغة / الزمخشري ، (١٨٩/١) .
(٢) لسان العرب / ابن منظور ، مرجع سابق ، (٢٥٨/١٤) .

وقال الزبيدي : الدعاءُ بالضم ممدوداً الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال(١) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ ﴾ الأعراف: ٥٥

وقال ابن فارس : وبعض العرب يؤنث الدعوة بالألف فيقول دعوى . ومن دعائهم : اللهم أشركنا في دعوى المسلمين أي في دعائهم(٢) . قَالَ تَعَالَى: ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ ﴾ يونس: ١٠

وفي الاصطلاح : كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة ، فإنه يراد بها في الغالب معنيان :

- الأول : الدعوة بمعنى الإسلام أو الرسالة .
- الثاني : الدعوة بمعنى عملية نشر الإسلام وتبليغ الرسالة .

وعلى المعنى الأول : (الدعوة بمعنى الإسلام أو الرسالة) جاءت تعريفات اصلاحية كثيرة منها :

قيل : هي دين الله عز وجل الذي بعث به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً ، تجدد على يد رسول الله ﷺ خاتم المرسلين ، كاملاً وافياً لصلاح الدنيا والآخرة .

وقيل : هي دين الله الذي ارتضاه للعالمين كافةً ، تمكيناً لخلافتهم ،

(١) تاج العروس من جواهر القاموس / الزبيدي ، (٤٧/٨) .
(٢) معجم مقاييس للغة / ابن فارس ، مرجع سابق ، (٢٤٦/٣) .

وتيسيراً لضروراتهم ، ووفاءً بحقوقهم ، وحمايةً لوحدتهم ، وتكريماً لإنسانيتهم ، وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم .

وقيل هي : الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني ، وتقرير الحقوق والواجبات . فقبل ذلك وبعده : هي الاعتراف بالخالق والبر بالمخلوق[1] .

وقيل هي : نداء الحق للخلق ، ليوحدوا المعبود ، ويعبدوا الواحد ، حنفاء لله غير مشركين به ، متبعين غير مبتدعين[2] .

أما على المعنى الثاني : (الدعوة بمعنى عملية نشر وتبليغ الإسلام) فجاءت أيضاً على تعريفات كثيرة ، منها :

عرفها ابن تيمية رحمه الله تعالى بقوله : الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله ، وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره وأن يعبد العبد ربه كأنه يراه[3] .

وقيل هي : تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة[4] .

---

(١) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية / محمد عبدالرحمن الراوي ، ص١١،١٢ .
(٢) التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته / عبد رب النبي أبو السعود ، ص١٩ .
(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ، (١٥/١٥٨) .
(٤) المدخل إلى علم الدعوة / محمد البيانوني ، ص١٧ .

وقيل هي : الحث على فعل الخير والحرص على اجتناب الشر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتحبيب بالفضيلة ، والتنفير من الرزيلة ، واتباع الحق ونبذ الباطل(١) .

وقيل هي : الدعوة إلى توحيد الله تعالى والاقرار بالشهادتين وتنفيذ منهج الله في الأرض قولاً وعملاً ، كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ليكون الدين كله لله(٢) .

وقيل هي : قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان ، لاقتفاء أثر رسول الله ﷺ والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكاً(٣) .

وقيل هي : إبلاغ الناس دعوة الإسلام في كل زمان ومكان بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين(٤) .

هذه التعاريف لا منافاة بينها ، فليست من باب اختلاف التضاد ، لكنها من باب اختلاف التنوع ، فكل تعريف للدعوة من هذه التعاريف عني بجانب من جوانب الدعوة وركز عليه .

---

(١) مرشد الدعاة / محمد نمر الخطيب ، ص٢٤ .

(٢) الدعوة إلى الله " الرسالة – الوسيلة – الهدف " / توفيق الواعي ، ص١٩ .

(٣) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم / محمد بن سيدي بن حبيب ، ص٢٧ .

(٤) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر / علي صالح المرشد ، ص٢١ .

المبحث الثاني

الأثر على الدعوة من حيث الموقع والمناخ :

هناك أثر كبير على الدعوة من حيث الموقع أو المكان ومن حيث المناخ أو الطقس ، فعلى الداعية أن يراعي الأثر على دعوته وتحولات ذلك على المدعوين واختيار المكان المناسب والزمان المناسب لدعوته هذه مراعاةً لأحوال المدعوين ، حتى يسوس الناس الذين هذا شأنهم بما يناسبهم من الأسلوب الأمثل لهم ، فمثلاً يشد عليهم إذا لزم ذلك ، إذا كان الطقس والمكان ملائمين لذلك والأمزجة ملائمة ومرتاحة ، ويتطاوع معهم عندما يرى غلظة وشدة عليهم في وقت مثلاً يكون حاراً عليهم والأمزجة غير مرتاحة[١] .

نقول إن الموقع الجغرافي وكذلك المناخ لهما أثر كبير في دعوة الناس، ولذلك على الداعية معالجة ذلك . فمثلاً أهل البلاد الصحراوية التي تكون شديدة الحرارة في فصل الصيف ، وشديدة البرودة في فصل الشتاء ، نجد أن شدة الحر المستمر طوال أشهر الصيف وزمهرير الشتاء القارس عدة شهور أخرى يجعل أهل تلك البلاد في معاناة دائمة ، فهم في الحر يقاسون ويعانون من شدتها وتغض مضاجعهم وتقلل من نشاطهم ، مما يجعل من مزاجهم حاداً مضطرباً لا يقر لهم قرار ولا يهدأ لهم بال ، فغليان الحر في أدمغتهم يسبب غليان مزاجهم وشدة انزعاجهم ، مما يجعلهم غير مهيئين للدعوة[٢] .

---

(١) الدعوة إلى الإصلاح / محمد خضر ، ص٣٤ .

(٢) التخطيط للدعوة الإسلامية / على أبو أسعد ، ص٥٦ .

كل ذلك يتطلب من الداعية أن يراعيه ، ويراعي أحوال الناس ويختار ما يناسبهم حتى يستطيع ‘يصال دعوته لهم بأسلوب يقبلونه ويرضونه .

وقد بعث الله تعالى نبيه محمد ﷺ في بيئة قريبة مما ذكرنا ، فإذا نظرنا إلى سياسته معهم لوجدناها في أكثرها لين ورقة وبرداً وسلاماً يطفئ نارهم ، وماءً زلالاً وعذباً فراتاً يروي غلتهم ويطفئ ظمأهم ، وسعة بال تسكن ثورتهم ، وحلماً يهدئ غضبهم وعلماً يذهب جهلهم(١) .

فمثلاً عندما ذهب ﷺ إلى ثقيف بالطائف يدعوهم إلى الإسلام وليحموه حتى يبلغ عن ربه ، فأبوا أن يجيبوه بل آذوه وأغروا صبيانهم وسفهاءهم به فأخرجوه من بلدهم عنوةً ورموه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين ، ولكن عندما ناداه الملَك بأن يطبق عليهم الأخشبين أبى على الله ذلك ، ورجا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وتقوم على يديه الدعوة ويصلح به الله الدين .

يروي عروة بن الزبير رضي الله عنه أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حدثته أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال ﷺ : ((لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ،

---

(١) إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء / محمد الخضري بك ، ص٢١ .

فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، إن شئت أن يطبق عليهم الأخشبين ، فقال ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً))[١] .

وهذا أثر واضح على الناس من الداعي إلى الله تعالى في حسن المعاملة ، ولين الجانب ، ومعرفة طبائع الناس ، وتلمس ما يؤثر في أمزجتهم ، وما يكتنف بيئتهم ، من أحوال الطبيعة التي يجعل الله لأجسامهم قدرة خاصة ليتكيفوا معها وليستطيعوا العيش فيها . وتكيف الجسد يتبعه أثر في النفس والمزاج ، وتذوق الأشياء والارتياح لنوع معين منها ، والنفور من أشياء بعينها .

والمجتمعات بعاداتها وتقاليدها تعدي بعضها بعضاً كما يعدي السقيم السليم ، والبيئة تحور وتغير في الأخلاق والسلوك ، بل وتؤثر على الفطرة سلباً وايجاباً ، فقد تكون الفطرة سليمة وهو الغالب عليها ، ولكن ما يكون في بيئة النشأة الأولى من عادات وأفكار ومذاهب ، وما يتلقاه الطفل والعائش في البيئة من تعليم وثقافة ، وما يلاحظه من سلوكيات الناس يؤثر عليه[٢] .

ولقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك التأثير الذي يحوي محيط الشارع والمدرسة والبيت والبيئة عامة ، والذي يعمل على تغيير الشخصية وتحويرها عن

---

(١) فتح الباري من صحيح البخاري ، كتاب بدأ الخلق ، باب (٧) ، (٣١٢/٦) .
(٢) البداية والنهاية ، ابن كثير ، (٢٨٩/٢) .

فطرتها الأولى[1] .

قال ﷺ : ((كل مولود يولد على الفطرة ولكن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة البهيمة هل تحسون فيها من جدعاء))[2] .

أما الناس في البلاد ذات المناخ المعتدل ، حيث لا توجد حرارة شديدة، تضايق الناس ، ولا برد قارس يمنعهم من العمل ، وحيث الخصب والمناخ المعتدل يوفر لهم راحة في المعيشة ، الشيء الذي يكسبهم طمأنينة وسكوناً إلى حد ما ، اللهم إلا إذا جاءتهم عوامل أخرى أثرت عليهم .

فمثل هؤلاء الناس نجدهم يميلون للنقاش الهادئ والنفس الطويل وسعة البال والأفق ، وتبتعد عنهم علامات الكدر والتزمت والتبرم بالحياة والسخط بها والسب ، وهو أن الجو أو الطقس باعتداله يسبب هذا الهدوء النفسي والاعتدال المزاجي . وهؤلاء أكثر قبولاً للدعوة والسماع للداعية ويعتبر ميداناً فسيحاً للدعوة إلى الله تعالى .

وعلى العموم وبالمقارنة على ما ذكر آنفاً يتضح الفرق ، وهذا كله أمر خاضع للملاحظة والتدقيق والتجريب بدراسة تلك البيئات ، والمقارنة بين الخصائص التي يتميز بها كل مجتمع يقطن منطقة بعينها . بل حتى التأثير على الفكر من خصب وجدب في النفس له علاقة وثيقة ولصيقة بالبيئة

---

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير ، مرجع سابق ، (٢/ ٢٩٠) .
(٢) صحيح مسلم ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، (١٦/ ٢٠٧) .

والمناخ[1] .

ومثلما يؤثر الطقس العام يؤثر طقس فصل من الفصول لما يغير من وجه الأرض ، فيبهج النظر ، ويثلج الصدر ، ويؤثر على النفس ، حيث تأتي النفس بما لم يكن في حسبانها ، في فصل آخر أو بيئة أخرى . وهذا يساعد كثيراً الداعي في إيصال دعوته للناس ، ويُتقبل منه بمزاج عالٍ .

ففي مثل هذا الطقس والبيئة كل شيء متفتح ومستيقظ ، وكل ما على الأرض يختال في حيوية ونشاط ومرح وفرح ، مما يعكس لنا نفسية الناس الذين يعيشون في مثل هذا الجو في غالبهم وعمومهم[2] .

---

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير ، مرجع سابق ، (٢٩٣/٢) .

(٢) أيام من حياتي ، زينب الغزالي ، ص٢١٥ .

المبحث الثالث

الأثر على الدعوة من حيث العادات والأعراف :

للعادة والعرف أثرهما الكبير ومفعولهما الخطير الذي لا يمكن أن يُغض الطرف عنه ، أو أن يقلل من شأنه في حياة الناس وسلوكياتهم .

والأعراف والعادات والتقاليد منها ما يعتمد على أصل ديني ، ومنها ما يكون منشؤه توارث قديم قد لا يُعرف له أصل بالتحديد ، إنما تناقله الناس كابراً عن كابر(١) .

فإذا كان العرف أو العادة قد نشأ عن أصل ديني ، إما أن يكون قد انحرف بعيداً عن تعاليم الدين أو أن يكون ثابتاً على أصله . فإذا كان على الأصل ، فإما أن يكون هذا الأصل صحيحاً أو غير صحيح ، أعني أصل الدين الذي نشأ عنه العرف ، وهذا الأخير يكون في غير الدين الإسلامي ، مثل الأديان التي أصلها سماوي ثم حُرفت ، أو التي أصلها غير سماوي .

فإذا كان الأصل سليماً وجاء هذا العرف الذي نشأ عن هذا الدين الصحيح عرفاً لا يختلف عن الدين السليم ، ولكنه أخذ طابع العرف والعادة، أو أصبح المتمسكون به يفعلون ذلك ، لا باعتباره ديناً وعبادة ، وإنما باعتباره عادة وجدوا آباءهم عليها ثم تبعوهم فيها تقليداً وعرفاً لا ديناً وعبادة ، ولو سألت أحدهم عن أصل ذلك لقال : لا أدري ولا أعرف لذلك دليلاً ولا أعرف وجهة نظر الدين فيه ، وإنما وجدت قومي هكذا يفعلون ، فنسجت

---

(١) مجالات انتشار العلمانية ، محمد زين الهادي ، ص٣١١ .

على منوالهم واقتفيت أثرهم ونهجت نهجهم .

ثم نظر الداعية في هذا السلوك وهذا العمل الذي هو عرف وعادة وعرضه على الشرع فوجده لا يخالف الشرع في شيء ، فماذا عليه أن يفعل ؟ . فهل يترك هؤلاء الناس على هذه الحالة ويقول لهم أنتم وما تعملون ما داموا على الحق الذي جعلوه عادة متوارثة ؟ ثم يذهب ويتركهم؟.

المنهج السليم في مثل هذه الحالة أن يعرفهم بأصل ذلك في الشرع ويوقفهم على الدليل الذي جاء عنه ذلك العرف حتى يكونوا على بينة ، وحتى يكون عملهم هذا عبادة وقربى إلى الله تعالى ، وحتى يعرفوا أن ذلك ديناً وليس عرفاً فحسب(١) .

وفائدة هذا التعريف هي أن من اتخذ شيئاً عرفاً وعادةً لا ديناً وعبادة، فإنه ربما تركه لأي عادة أخرى أو لأي عارض آخر أقوى منه ، ولو كان الجديد باطلاً في الأصل .

أما لو كان قد عرف أن ما وجد عليه آباءه هو دين وعبادة وعرف دليلها ووقف على أصلها فإنه يصعب على الفكر الجديد أو الداخل الجديد أن يقتلع ذلك لأنه أصبح عنده عقيدة وعبادة يجب التمسك بها والدفاع عنها . وتكون عنده الأسلحة التي يدافع بها ذلك المعتقد من أدلة قوية وحجج وبراهين دامغة يقدمها للخصم ويدافع عنها(١) .

---

(١) تمييز الطيب من الخبيث ، الشيباني ، ص ١١٨ .

(١) تمييز الخبيث من الطيب ، الشيباني ، مرجع سابق ، ص ٢٢١ .

والفارق هو أن صاحب العادة مقلد وتابع ومن حاله كذلك فلا يملك الحجة ، لا المنطقية ولا ذات الدليل ، ولأن إيمانه غير راسخ الرسوخ الكامل لأنه مجرد ناقل لشيء لا يعرف أصله من أين جاء ، ولا كيف نشأ ، ولا يعرف الطرق التي وصل بها إليه ، أهي طرق سليمة صحيحة أم هي غير ذلك .

فمثلاً في بعض البلاد التي أهلها مسلمون أو بعضهم مسلمون نجدهم قد تخلوا عن كثير من الشعائر الإسلامية التي أصلها ديني سليم صحيح بسبب احتكاكهم بالثقافات الغربية غير الإسلامية مثل إعفاء اللحية ، والزي الإسلامي للمرأة المسلمة ، فمنذ حوالي المائة عام أو أكثر بقليل لا تجد امرأة تكشف عن وجهها وهي تسير في الشارع ، أو ربما أخرجت عيناً واحدة أو العينين فقط ، أو تغطي وجهها كله ، فلما غزا الاستعمار الغربي البلاد الإسلامية وفرض عليها القوانين العلمانية الوضعية وأدخل مناهج التعليم الغربي القائمة على عزل التعليم عن الدين ، وأدخلت البنت المسلمة في هذه المدارس وأفهمت أن هذا الحجاب أمر مشين ومهين للمرأة ومناقض للتقدم ومعسر في العمل ، خلعته[٢] ، وإن كان ذلك جاء في جرعات بطيئة ، ولكنه في النهاية أعطى مفعوله في زحزحة الزي الإسلامي للمرأة .

وكذلك الشأن بالنسبة إلى اللحية عند الرجال ، فأنت لا تكاد تلاحظ منظر رجال مسلمين يحلقون لحاهم منذ ذلك التاريخ الذي أشرنا إليه ، ويعتبرون حلقها عاراً وعيباً ، ولكن بعد ما ذكرنا من تأثير الثقافة الغربية واحتكاك المسلمين بها وتأثرهم بالأوربي الحليق ، أصبحت الآن تجد صعوبة

---

(٢) مجالات انتشار العلمانية ، محمد زين الهادي ، ص١٣٢ .

في بعض البلاد الإسلامية أن تعفي لحيتك .

وتجد المرأة عنتاً شديداً إذا هي ارتدت الحجاب ، أو اللباس الإسلامي الساتر لجسدها .

والسبب هو أن مسمى المدنية والعصرية جاء إلى البلاد العربية بالمفهوم الغربي ، ومن العرف والتقليد الغربي غير الإسلامي ، وجاء المسلمون منهزمون ثقافياً ومتخلفون حضارياً - أعني بها الحضارة المادية – ثم إنهم بعد ذلك مستعمرين ومقهورين بقوة السلاح .

ولكن ذلك كله يمكن أن يكون أثره أخف مما كان عليه لو أن ذلك الشعار أو الشعيرة الإسلامية التي جرفها تيار الثقافة غير الإسلامية ، ولو أنها كانت تقوم على أنها عقيدة راسخة وذات أصل ديني وأن فاعليها فعلوا ذلك من منطلق أنها دين وعبادة ، ولو كان الأمر كذلك لما حدث ما حدث ولكن كل ذلك كان عادة قوم وعرف آباء عند كثير ممن ذكرنا ، والقلة القليلة من أولئك التي لم تتأثر هي التي كانت مستنيرة بنور العلم الشرعي فثبتت وصمدت بالرغم مما واجهته من صعوبات واستفزازات ، بل وسجون وتعذيب وتشريد أحياناً كثيرة ، حتى تداركها الله بالصحوة الإسلامية التي نعيشها اليوم(١) .

هذا فيما إذا كان العرف لا يخالف الشرع ، ولكن المتمسكين به لا يعرفون أنه دين ، فهذا يسمى الإقرار مع التبيين والايضاح وترشيد الشخص صاحب العادة وتبصيره بالدليل حتى يكون على بينة ويعبد الله على العلم لا

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير ، مرجع سابق ، (٢/٢٨٦) .

على العادة .

فقد كان النبي ﷺ قبل البعثة يتعبد على ملة إبراهيم عليه السلام ، وهي ملة صحيحة سليمة لا شرك فيها ولا عبادة وثن ولا تقديس صنم ، حتى جاءه الوحي وهو يتحنث في غار حراء ، فقد حفظه الله من كل العادات القبيحة . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال : " لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة ، فقال عباس للنبي ﷺ : أجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة . فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم أفاق فقال : إزاري إزاري فشد عليه إزاره ، وفي رواية : ما رؤيت له عورة بعد ذلك "(١) .

ومما جاء في ذلك أيضاً الحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرك وابن كثير في البداية والنهاية ، من قوله ﷺ : ((ما هممت بشيء ممن كان أهل الجاهلية يعملونه غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبينه ، ثم ما هممت به حتى أكرمني الله برسالته ، قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي الغنم بأعلى مكة : لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب ، فقال : أفعل ، فخرجت حتى كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفاً ، فقلت ما هذا ؟ فقالوا : عرس فلان بفلانة ، فجلست أسمع ، فضرب الله على أذني فنمت ، فما أيقظني إلا حر الشمس ، فعدت إلى صاحبي فسألني فأخبرته . ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك ، ودخلت مكة فأصابني مثل أول ليلة ،

---

(١) فتح الباري من صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنيانها ، حديث رقم ١٥٨٢ ، (٤٣٩/٣) .

ثم ما هممت بسوء))[1] .

أما إذا كان العرف ناشئ عن دين محرف أو غير صحيح من أصله ، فهذا يلزم الداعية الصبر على أصحابه مدة ثم يدخل معهم في مخالطة لا تمس دينه ولا كرامته كداعية ، حتى تصبح لديهم إلفة له ويسكنون ويطمئنون إليه ويثقون به وبرأيه ، ثم بعد ذلك يبدأ معهم بالحديث عن بعض العادات السيئة ويضرب لهم الأمثال بسوئها وضررها ، ويبين لهم ضدها من الدين الصحيح ، وكل ذلك يكون بهدوء وفي جرعات بطيئة حتى لا يحسوا بتغيير مفاجئ ، وحتى لا يشعر العدو بذلك فيعمل ردة فعل للناس ، فيتدرج معهم حتى إذا عرفوا الصحيح من السقيم يبدأ بعد ذلك بتعميق هذه الفكرة الجديدة في أذهانهم عن طريق الأدلة والحجج والبراهين الدامغة حتى تصبح عندهم مناعة وحصانة ضد أي عدوى أخرى ، وحتى يحملوا هم الدعوة بأنفسهم ويعملون بعد ذلك في قومهم[2] .

---

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير ، مرجع سابق ، (٢٨٧/٢) .

(٢) المرجع نفسه ، (٢٨٩/٢) .

المبحث الرابع

أثر التنوع البيئي على الدعوة :

لتنوع البيئات أثر كبير على سير الدعوة إلى الله تعالى ، فهي قد تتعثر في بيئة وتتقدم في أخرى ، ويكون الأخير نتيجة لعدم مراعاة أحوال الناس المعيشية ومنهجهم وطريقة كسبهم .

فالدعوة في البيئة ذات المحيط الفقير تختلف عن الدعوة في المحيط ذات الوسط الغني . ففي البيئة الفقيرة يجب أن لا يركز الداعية كثيراً على أسلوب الوعظ النظري تركيزاً كلياً ، بل يجب الالتفات إلى الدعوة عن طريق الأعمال الخيرية ذات المردود المادي ، مثل بناء المدارس والمعاهد والمستشفيات ودور الأيتام وملاجئ العجزة وما شابه ذلك .

ومن خلال تلك المؤسسات تقوم الدعوة على أن يختار لها المدرسون والأطباء الأكفاء من حيث حذق المهنة وتجويدها ، ومن حيث الكفاءة في حذق المعارف الإسلامية العامة ، ومعرفة مناهج وطرائق الدعوة إلى الله على هدىً وبصيرة ، والأفضل أن تقام لهم دورات تدريبية ، إما ابتداء وقبل تسلمهم المهن التي يزاولونها أو في أثناء ممارسة العمل ، وتشمل هذه الدورات عموم الثقافة الإسلامية الضرورية لإيصال الدعوة بالصورة السليمة حتى لا يقع الداعية العامل في تناقضات تخل بثقة الناس فيه ، وتشمل دروساً في الفقه والحديث والتفسير والسيرة ومناهج الدعوة وأساليبها(١) .

---

(١) العقود الدرية ، ابن عبد الهادي ، ص٢٢٧ .

ومن خلال هذه المؤسسات تقام محاضرات ودروس خاصة وندوات لعامة الناس ، وتكون هذه المؤسسات باسم الدعوة وتطلق عليها أسماء إسلامية لها صلة بالدعوة ، حتى يعرف الناس أنها تخص الدعوة وليست من قبل الحكومات ، بل هي من جهات دعوية خيرية تطوعية .

والسبب في هذا النوع من وسائل الدعوة هو أن مثل هؤلاء الناس تشغلهم أمور معاشهم ويصعب عليهم حتى إدخال أبنائهم المدارس وتعهدهم بمصاريف الدراسة ، كما يصعب عليهم العلاج ايضاً ، وبالتالي إذا وجدوا من يتكفل لهم بذلك أو بجزء منه فإنهم يكنون له وداً خاصاً ، والناس جبلوا على حب من أحسن إليهم ، كما يقولون .

ثم إنه كيف تطلب أنت الداعية من أناس يتضورون جوعاً ويرفلون في حلل من الجهل والمرض ينخر في أجسادهم ، كيف تطلب منهم أن يتخلوا عن بعض ما يتمسكون به من ممارسات خاطئة قاموا عليها . وأنت لم تقدم لهم شيئاً ولم تزيل عنهم كربة ، ولم تفك لهم أسراً[(١)] ؟ !.

مع العلم أن هناك جهات أخرى غيرك أيها الداعي لها دعوات كالنصرانية مثلاً تمد لهم يد العون والمساعدة من كساء وغذاء وتعليم وعلاج ، ثم تدعوهم وهي تمد لهم يد العون باسم (يسوع المسيح) وتقول لهم : هذا جاءكم من الرب يسوع المسيح ابن الله !! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

والناس تستجيب تحت ضغط وذل المسغبة والفاقة ، ولقد نجحت بعض

---

(١) مجالات انتشار العلمانية ، محمد زين الهادي ، مرجع سابق ، ص٣٥٣ .

المنظمات الإسلامية الحديثة التي انتهجت هذا النهج وسلكت هذا الأسلوب في الدعوة مثل منظمة الدعوة الإسلامية ، التي تركز عملها في قارة أفريقيا ، هذه القارة التي يركز عليها النصارى ويتوقعون أن تكون قارة نصرانية .

هذه المنظمة تبني المستشفيات وتقيم المعاهد الدينية والملاجئ ودور الأيتام والعجزة ، ولها منظمات طبية ومهنية أخرى تتبع لها تقوم بعمل دعوي جليل[1] .

وهذا النوع من وسائل الدعوة نجده منذ عصر الإسلام الأول ، بل ونزل به القرآن الكريم ، وأنعم بها من وسيلة يستعملها القرآن الكريم لكسب أنصار للدعوة ولجلب العقول إليها ، وسهم المؤلفة قلوبهم يعتبر أصلاً وركيزة لكل عمل خيري يصحب بالمادة كوسيلة للدعوة إلى الله . ولهذا جعل الله سهماً لهذا الصنف من الناس لتحبيب الإيمان لقلوبهم . قَالَ تَعَالَى: إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ **التوبة: ٦٠**

بل إن الرسول ﷺ ، كان يفعل ذلك لذات السبب ، فقد كان لكثرة نواله وجوده أثر كبير ومفعول مباشر في دخول أناس كثيرين في الإسلام، بل عن طريق هذه الوسيلة أصبح أناس دعاة لأقوامهم وحسن بسببهم إسلامهم.

---

(١) المرجع نفسه ، ص٣٥٧ .

عن أنس بن مالك أن رجلاً سال النبي ﷺ ، غنماً بين جبلين فأعطاها إياه فأتى قومه فقال : " أي قومي ، أسلموا فو الله إن محمداً ليعطي عطاء من لا يخاف الفقر"(١) .

والتأثير هنا آني ومستقبلي ، فالتأثير الآني هو المتمثل في الاستجابة السريعة ، ولو لأجل النفع والفائدة المادية لإزالة الضرر ورفع المسغبة . والتأثير الثاني هو المستقبلي ، وهو الأهم ، وهو الذي يحدث بعد التفاعل مع الإسلام وبعد أن تخالط بشاشة الإسلام القلوب ، فما يلبث الداخل فيه حتى يصلح شأنه ويحسن قصده وينقلب من طالب دنيا إلى داعية بدوره ، وهذا هو التأثير الذي لا يوجد في غير الإسلام ولعل هذا من خصائص الدعوة الإسلامية ومميزاتها أن لها حلاوة وعليها طلاوة ، وهذا مرده لأصل هذه الدعوة وهو القرآن الكريم والسنة الشريفة(٢) .

إن هذا النوع من وسائل الدعوة ، بما له من تأثير مطرد في النفس البشرية ومتأصل في أعماقها ، نجده يؤثر في العداوة ويعمل عمله الخيّر في النفس المبغضة فيقلبها إلى نفس محببة تحب الخير وتنزع إليه بدلاً من النزوع إلى الشر ، ولعل الفاقة الشديدة ذات الفقر المدقع وذات المسغبة المذلة تصيب النفوس أو قل كثيراً منها بالشلل والجمود فلا تفكر إلا في المصلحة الوقتية التي تسد بها الحاجة الغريزية الملحة ، اللهم إلا تلك النفوس التي صقلها الإيمان وخالط شغافها ، فتسمو فوق تلك الغرائز

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الفضائل ، باب في سخائه ﷺ، (٢٧٨/١٥) .
(٢) تمييز الخبيث من الطيب ، الشيباني ، مرجع سابق ، ص٢٢٤ .

الملحة[1] .

أما الدعوة في البيئة ذات الثراء والمعيشة الوسط ، فإن الناس تختلف وسائل حياتهم فيها ، حيث تتسم بالهدوء والأخذ بأسباب الراحة والترف في المأكل والملبس والمسكن والمركب وكل سبل العيش الكريم .

وهنا قد لا يحتاج الناس في عمومهم للوسائل المادية في جذبهم للدعوة مثل السابقين ، بقدر ما يحتاجون للمعاني الروحية التي تخفف عليهم ما يجدونه من معاناة واضطرابات نفسية بسبب حياة التنعم وكثرة تجاذب المادة لهم ، لكن لا ينجرفوا في تيار المادة الذي غالباً ما يطغى بصاحبه ، لما يراه من سبل النعم وكثرتها ووفرتها تحت يده ، فيظن أن ذلك جاءه وحصل عليه بنجاحاته وقدراته ومواهبه الذاتية . فيدخل عليه العجب بالنفس والخيلاء والبطر[2] .

ولقد نبه الله تعالى إلى هذا بقوله : قَالَ تَعَالَىٰ: كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۞ العلق: ٦ - ٧

وعلاج هذا النوع من الناس ، هو التماس ما يشحذ هممهم ويشد عزيمتهم ويجود قريحتهم ويلامس شغاف قلوبهم ، ويجعلهم يرقون ويخشعون ، فتنفع فيهم الموعظة الرقيقة وضرب الأمثال بمن كانوا جبارين

---

(٣) المرجع نفسه ، ص٢٢٨ .

(٤) العقود الدرية ، ابن عبد الهادي ، مرجع سابق ، (٨٨/١) .

من قبلهم وما فعل الله بهم .

وهنا نجد أسلوب الدعوة مع مثل هؤلاء الجبارين الذين يصعب عليهم مفارقة ما هم عليه بسهولة ويسر ، نجد أنه يستحسن أن يستعمل معهم أسلوب التكرار والعود لهم مرات ومرات ، وتنوع الأدلة وإيراد الشواهد وسرد القصص عليهم حتى يستجيبوا أو يعرف الناس أن ما هم عليه أمر غير محمود العاقبة ، لأن ما دخل في الذهن ورسخ في القلب ببطء وعلى مكث وطول مدة ، لا يخرج بين ليلة وضحاها ، وإنما يحتاج إلى أزمان وصبر وجلد مع طول نفس وسعة بال ، لأنه هو – أي صاحب المنكر – ربما يستهوي معه ضعف العقول من الناس وأصحاب النظرة القصيرة العجلى ، وقد يستعمل هذا النفر الأشر أساليب الدعاية لنفسه مثل ما فعل قارون . قَالَ تَعَالَىٰ: فِي زِينَتِهِۦٓ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ " القصص: ٧٩

هكذا يفخر معلناً الدعاية وهي أخذ الزينة والاستعراض بها على الناس لاستهوائهم .

وبالفعل لقد انجرف وراء هذا البهرج أصحاب الفكر الزائف ، طلاب المادة الغافلون عن الحقائق[(١)] .

لكن الدعاة أهل العقل والعلم والمعرفة يستمرون في الطرق على هذا

---

(١) العقود الدرية ، ابن عبد الهادي ، (١/ ٩٠) .

الحديد البارد حتى يسخن وتتولد بداخله الحرارة من كثرة الطرق عليه فيلين ، وبالتالي يتشكل تشكيلة أخرى .

ولهذا يعقبون على ذلك الصلف والكبرياء بقولهم موبخين لهم في بايحاء أن ما أنتم عليه ليس هو الحق ولا هو الطريق السوي . قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ القصص: ٨٠

والبيئة باعتبارها مكاناً للدعوة ، يجد الداعية الفاحص المنقب فيها أنواعاً أخرى من المجتمعات وألواناً شتى من المعارف ، ومللاً وأهواء مختلفة ، وأضرباً من الثقافات .... ، كلها تحتاج منه إلى مبضع يجس به الداء ويكتشف به مكمن الخطر ، كي يجد له الدواء الذي يستأصل جرثومته ويقضي على فيروسه أو يزيد في مناعته ومقاومته .

ففي بيئة الزراع يجد آفات ومشاكل وثقافات لا يجدها في البيئة الرعوية ، حيث إن الأولين – الزراع – أكثر استقراراً وأعقد حياةً من الرعاة . لهم لهجة يخاطبهم بها ولديهم معايير يقيسون بها الأشياء قد لا توجد عند أولئك . وعند الرعاة من البساطة في الحياة وفي التفكير مالم يصل إلى درجة الفكر المعقد المزدوج ، حيث لم تدخل أفكار غريبة ولم تتسرب فلسفات وافدة ، فحياتهم أقرب إلى الفطرة ، فلا ينبغي أن يفلسف لهم الأمور ولا يشعبها عليهم ، ولا يطرق لهم شيئاً لم يخطر لهم على بال ، وإنما يزودهم بالشحن الإيمانية ويعطيهم العلم الصافي ولا يكثر عليهم مالا طاقة لهم به وليسوا في

حاجة إليه ، حتى لا يثقل عليهم فيملوا أو يتركوا[١] .

ويدلنا على هذا الحال الإعرابي الذي جاء يسأل النبي ﷺ عن شرائع الإسلام ، فذكر له النبي ﷺ الفرائض والعزائم فقط ولم يلزمه بغيرها . عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه ، أن إعرابياً قال لرسول الله ﷺ : إن شرائع الإسلام قد كثرت علّي ، فأنبئني منها بشيء أتشبث به ، قال ﷺ: ((لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عز وجل))[٢] .

لأن مثل هذا الصنف من المدعوين لا يستوعب الفروع والتشعبات الكثيرة ، إما بسبب عدم تخصصهم أو لقلة تعليمهم وقلة صلتهم بأهل العلم، وبسبب حياة البداوة .

كما يلزم في مثل هذه الأحوال التعليمية لمثل هؤلاء أن لا يعجل الداعية بالحديث ولا يحرك به لسانه عجلاً مضطرباً تتداخل كلماته ، وتختلط مخارج الحروف فيه .

ولا يستخدم أسلوب الرمزية والكنايات الغامضة ولا العبارات والمصطلحات الموهمة ذات الدلالة المحتملة لأكثر من معنى ، فإنه إن فعل ذلك لم يصل مضمونه إلى المدعوين بالصورة الواضحة الجلية ، وبالتالي يكون الأثر الناتج عن ذلك إما ضعيفاً أو منعدماً .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، (٢٧٢/٣) .

(٢) سنن ابن ماجة ، كتاب الأدب ، باب فضل الذكر ، حديث : ٣٧٩٣ ، (٣٠/٢) .

وهذا الأسلوب – أي أسلوب الرمزية والكنايات – يكون مستحسناً من الداعية إذا عمل به مع الذين هم أكثر تحضراً ، أما هؤلاء فيستعمل معهم أسلوب مشابه للأسلوب التعليمي ، فإذا استحب هذا الأسلوب في الكلام في مثل الخطب والمواعظ والمحاضرات ، فإن أسلوب التعليم يزيد على هذا النوع بأنه لابد أن يكون فيه تكرار ، حتى يفهمه المتعلم ، وهذا يستعمل في الأحكام والأحاديث التي يراد لها الحفظ أو التي يراد التفكير الدقيق أو التأمل أو التدبر .

ولهذا جاء عن النبي ﷺ أنه : (كان يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه)[1] . ونجد في البيئة الاجتماعية أصنافاً من المدعوين ، فهناك المتعلمون ، وهم أيضاً أصناف ، فمنهم صاحب الثقافة الدينية ، وصاحب الثقافة غير الدينية، فإن هم تقاربوا في التعليم والفهم ، فإنهم تنأى بهم الثقافة وتبعد بهم موارد التعليم التخصصي . ولهذا نجد أنه يلزم لكل نوع من هؤلاء طرح معين وقدر محدود مما يلزمهم ويحتاجون إليه[2] .

فعلى الداعية ، إذاً أن يراعي هذا فيعطيه بقدر حاجته ، ويلاحظ ذاك فيزوده بما يلزم له ، في جرعات دوائية وتقطيعات علاجية .

---

(١) سنن الترمذي ، أبواب المناقب ، باب ٣٩ / ٤٠ ، (٥/٢٦١) .
(٢) البداية والنهاية ، ابن كثير ، مرجع سابق ، (٢/٢٩٥) .

الخاتمة

بعد حمد الله وتوفيقه ، والصلاة والسلام على رسولهﷺ ، وبعد جولات مباركة داخل هذا البحث المتواضع الذي اخترت له اسم (أثر الزمان والمكان على الدعوة الإسلامية) . وقفت على كثير من الأماكن والأزمنة التي يمكن للداعية أن يقوم فيها بنشر دعوته إلى الله تعالى . ويجمل بنا في ختام هذا البحث أن نذكر بأنه لم نخص كل ميدان يمكن أن تقوم فيه الدعوة ، إذ أنها كثيرة ربما تفوق العد ، وذلك لأن هذه الميادين تتجدد دائماً وأبداً ، وليست جامدة على نمط معين ولا مقصورة على مكان مخصص ، بل تتسع قاعدتها حسب حاجة الدعوة وإمكان تبليغها زماناً ومكاناً وكماً وكيفاً ، فهي تعلو عند الحاجة وتهبط عندها في مرونة ويسر ، كمرونة هذا الدين ويسره .

ومن خلال هذا البحث المتواضع توصلت إلى نتائج أرى أنها مهمة للداعية وللأمة المسلمة جمعاء ، كما كان هناك توصيات مني عسى ولعل تجد من يعمل بها فيفيد ويستفيد . وقد حصرتها في نقاط ليسهل فهمها والأخذ بها .

أولاً : **النتائج** :

١- إن الدعوة الإسلامية واجبة على كل مسلم ومسلمة ، ذكراً كان أو أنثى ، بالغ عاقل ، وجوب كفائي ، وتكون واجبة عينياً في بعض الحالات .

٢- على الداعية في أي مكان أو زمان أن يراعي أحوال المدعوين ، كما يراعي أحوالهم المعيشية ليقوم بدعوتهم حسب حالهم .

٣- الزمان والمكان والمجتمعات والأعراف والعادات هي معوقات للدعوة ، ولكن في بعض الأحيان تكون بيئة حاضنة للدعوة .

ثانياً : التوصيات :

١- أوصي أي داعية اتخاذ الحيطة والحذر من المدعوين عند دعوته لهم في الأزمان والأماكن الغير مناسبة مثل أوقات الحر الشديد أو البرد القارس .

٢- أوصي أي داعية أن يراعي عادات وتقاليد أي بلد يريد دعوة أهلها .

٣- أوصي نفسي وكل داعية لله تعالى بتقوى الله تعالى في دعوته .

٤- على الداعية تجهيز نفسه وتسليحها بالعلم النافع ليستفيد المدعوين من دعوته لهم .

المصادر والمراجع :

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : كتب الحديث :

١- صحيح البخاري / الإمام البخاري .

٢- صحيح مسلم / الإمام مسلم .

٣- سنن الترمذي .

٤- سنن ابن ماجة .

ثالثاً : التفاسير :

١- تفسير القرآن العظيم / ابن كثير .

رابعاً : كتب اللغة :

١- أساس البلاغة / الزمخشري .

٢- تاج العروس / الزبيدي .

٣- لسان العرب / ابن منظور .

٤- القاموس المحيط .

٥- معجم مقاييس اللغة / ابن فارس .

خامساً : المراجع العامة :

١- إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء / محمد الخضري بك .

٢- أيام من حياتي / زينب الغزالي .

٣- البداية والنهاية / ابن كثير .

٤- تمييز الطيب من الخبيث / الشيباني .

٥- العقود الدرية / ابن عبد الهادي .
٦- مجالات انتشار العلمانية / محمد زين الهادي .
٧- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية / محمد عبد الرحمن الراوي
٨- التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته / عبد رب النبي أبو السعود .
٩- المدخل غلى علم الدعوة / محمد البيانوني .
١٠- الدعوة إلى الله – الرسالة – الوسيلة – الهدف / توفيق الواعي .
١١- الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم / محمد بن سيدي بن حبيب .
١٢- مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر / علي صالح المرشد .
١٣- الدعوة إلى الاصلاح / محمد خضر .
١٤- التخطيط للدعوة الإسلامية / علي أبو أسعد .